نظرية القدرة الأدائية والأبعاد الشكلية

أن موضوع الجماليات الشكلية أمر قد لا يختلف عليه اثنان فمنذ أن حددنا الجمال بكونه دراس التأثيرات الشكلية للمنتج على المستخدم فهنا نؤكد أن الجمال وفق هذا التعريف يعترف بالجماليات الشكلية وهو من العناصر المهمة والأساسية في تقبل المستخدم للمنتجات ووفقاً للمفاهيم التي تطرحها نظرية القدرة الأدائية، ذكر Gibson في طروحاته لتفسير معنى ومفهوم القدرة الأدائية، أن معنى الشيء هو عنصر مهم للمراقب و "ان قيم ومعنى الأشياء في البيئة من الممكن أن تستلم بشكل مباشر (١٣٥، ص١٢٧). والجماليات بمعناها الواسع هي قيمة يمكن الاحساس بها والتفاعل معها (كما ذكرنا سابقاً)، ولكي نتمكن من اسقاط المفاهيم الفكرية لنظرية القدرة الأدائية سنقوم بتصنيف الجماليات الشكلية إلى:

١.الجمال وفق التكوينات الأساسية للهيئة وعمليات الإخراج لها وفق الفكرة التي حددتها وظيفة المنتج ورؤية المصمم.

٢.الجمال وفق التكوينات السطحية وعمليات الإخراج السطحي للهيئة وأجزائها.

أن الأبعاد الجمالية في الجانب الأول والمتعلق بالهيئة يتضمن عمليات تكوين الهيئة وفق أبعاد جمالية متضمنة في البناء الهيكلي للهيئة ومفرداتها، وهنا يعمد المصمم على تحقيق البعد الجمالي من خلال الدراسة الدقيقة لمتطلبات المستخدم على الأصعدة الفيزياوية والحضارية والاجتماعية وحتى السياسة والدينية، إذ تبدأ هذه العمليات منذ المرحلة الأولى للتكوين، وهنا قد يعمد المصمم إلى تبني مذهباً فنياً أو استراتيجية لأحدى المدارس الفنية، ويقوم بناء الهيئة على ضوء ذلك.

وعلى الرغم من أن الوظيفة قد ترسم حدودها وأبعادها وتأثيراتها على تكوين الهيئة ألا أن التصميم المبدع وقدرة المصمم هي التي ستحدد الفرق في جماليات المنتجات المظهرية أحدها عن الآخر، إذ يقتضي من المصمم في هذا الجانب تجاوز الشروط والحدود الوظيفية وتكوين هيئة متناسبة ومتطلبات المستخدم إذ أن هذه المتطلبات (أي متطلبات المستخدم)، لم تعد تقنع بما أطلق عليه Sullivan "الهيئة تتبع الوظيفة form follows function " (٦٣، ص٣٥٦)، وأن جمالية المنتج نابعة من الوظيفة التي يقدمها فمستهلك الوقت الحاضر يطالب بأن تكون منتجاته على درجة عالية من القيم الجمالية متناسبة ووضعه الاجتماعي الذي حدده لنفسه، وهذا ما أكده (هنري بتروسكي) H,Petroski في كتابه: "The Evolution of Useful Thing "بقوله: "أن الرفاهية وليست الحاجة هي أم الاختراع" (٢٥٦، ص٣٧) وأن تكوين

هيئات (جاسن خزعل بهيل ص٩٩) ذات قيم جمالية غير متوافقة مع ما يتوقعه مستخدم الوقت الحاضر هو في الواقع حكماً قبلياً على المنتج بالفشل.

أما ما يتعلق بالشق الثاني من الجمالات الشكلية، وهو الجانب المتعلق بالإخراج السطحي، فإن هذا الجانب له من الأهمية الموازية لعمليات تكوين الهيئة وفق الأبعاد والقيم الجمالية إذ يعمد المصمم في هذا الجانب إلى تحميل سطوح الهيئة بمقومات الجمال من خلال: (الأشكال، الألوان، الملامس المتنوعة، الرموز الدلالية والتعبيرية، .. وغيرها).

وفي هذه العملية يتم معالجة سطوح هيئة المنتج وأجزائها وفقاً لاعتبارات جمالية متناسبة ووظيفة كل جزء من أجزاء الهيئة ومتوافقة والوظيفة النهائية التي يقدمها المنتج من خلال الإخراج الشكلي واللوني والرمز التي تضاف على سطوح الهيئة على أن تكون القيم الجمالية هذه متوافقة والمادة المصنع منها المنتج، ومتوافقة وطبيعة الخدمة التي يقدمها ومتوافقة أيضاً مع ما تطرحه نظرية القدرة الأدائية بالتأكيد على وضوح ومناسبة الخصائص المظهرية للمنتج مع الاعتبارات الفكرية والنفسية للمستخدم، كإضافة الطلاءات باختيار الألوان المتناسبة وطبيعة المنتج، وطبيعة الغرض الذي يؤديه، والبيئة التي سيستخدم فيها وكذلك دورها وأثرها في نفسية المتلقي إذ يركز التحليل الشكلي للجماليات على (خصائص المنتج التي تؤثر في الاستجابات الجمالية مثل: الحجم، اللون، والتركيب والشكل الخارجي والتوازن... وغيرها، أما التحليل الرمزي فيركز على المعاني والدلالات والرموز التي ترتبط بتلك الخصائص الشكلية والدور الذي تلعبه في حياة الناس) (١٥، ص٣٨٣).

فالهيئة وفق المفهوم الديناميكي هي جزء متأصل من جماليات التفاعل، وهي تختلف تماماً عن المفهوم التقليدي للهيئة في التصميم، والهيئة في التصميم غالباً ما تربط بالنواحي الأساسية للمنتجات، مثل الشكل واللون، والجماليات الشكلية (بالتأكيد)، أما الهيئة في الجماليات التفاعلية فهي "ديناميكية، فاعلة، وتفتح المجال للتصميم نحو تحقيق الفاعلية بين المنتج وسلوك المستخدم" (١٣٢، ص٢٣٩)، فالتصميم لتحقيق الجماليات التفاعلية يتضمن بذل الجهد في البحث عن (الهيئة المرضية) في قوى الديناميكية التفاعلية، وهي الهيئة التي يتحدد من خلالها سلوك المنتج والذي يستجيب له المستخدم بسلوك محدد، محققة بذلك سلوكاً حوارياً بين المنتج ككيان مستقل ذي سلوك محدد وبين المستخدم ككيان آخر ذي سلوك خاص به هو الآخر، ألا أن سلوك كل منهما يتحد في صيغة حوارية متبادلة الأثر يعتمد كل منهما على وجود الآخر "(٢٤١، ص٢١٩)، فالقدرات الأدائية تنتج من التأويل والتفسير العقلي للأشياء،

بناء على معرفتنا وتجاربنا السابقة، وتطبق على كيفية ادراكنا للأشياء نسبة لأنفسنا.
(جاسم خزعل بهيل ص١٠٠)